قراءة تاريخية في طرق وأساليب التعليم العليا، منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين/ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن العاشر الميلاديين

أ. محمد عبده علي محمد صالح– قسم التاريخ– كلية الآداب– جامعة الحديدة

الملخص

تعد طرق وأساليب التدريس من أهم عناصر العملية التعليمية؛ بل هو العنصر الرئيس في نجاح التعليم وجودة كفاءته، وبالتالي ستكون مخرجات التعليم في صورة جيدة يمكن البناء عليها لصنع مستقبل أفضل على كافة الصعد. إن نجاح التعليم في الماضي والحاضر يرتبط بصورة رئيسة بالأساليب والطرق التعليمية التي يسلكها المعلمون لإيصال المعلومات إلى أذهان الطلبة ومدى استيعاب الطلبة لتلك الطرق والأساليب.

Abstract

Prepare the ways and means of teaching of the most important elements of the educational process; it is a key element in the success of the education quality and efficiency, and thus will be the learning outcomes in a good image can be built upon for a better future on all levels. The success of education in the past and the present wearing mainly the means and the education delivered by teachers to communicate information to the minds of the students and the extent of assimilation of students to those ways and Means.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

درج الباحثون في الحياة التعليمية في عصور التاريخ الإسلامي على تقسيمها إلى مرحلتين: المرحلة الأولى الكتاتيب وهي ما توازي اليوم المرحلة الابتدائية، والمرحلة الثانية العليا، وهذه المرحلة تبدأ منذ أن يلتحق الطالب بالمسجد ومجالس العلم وتستمر إلى نهاية العمر، فبعد

أن يحصل الطالب على إجازة في علم من العلوم فإن البعض يشتغل بالتدريس، والبعض الآخر يواصل تعليمه في طلب علم آخر.

ونظرًا لأن العملية التعليمية لابد لها من ركائز تستند عليها، لعل من أهمها الطرق والأساليب المستخدمة في إيصال المعلومات للطلبة على اختلاف مستوياتهم الذهنية، وتباين استيعابهم؛ للفروق الفردية بين المتعلمين؛ لذا يطرق هذا البحث الطرق والأساليب التعليمية التي سلكها العلماء في حلقاتهم ومجالسهم العلمية، ومدى نجاحها في تحقيق الغاية المرجوة من التعليم، وهي استيعاب الطلبة لدروس أساتذتهم، والخروج بحصيلة علمية تؤهلهم لمستويات علمية عليا، وتكسبهم مهارات وخبرات تجعل منهم أفرادًا منتجين، وصالحين في مجتمعاتهم، وبما يخدم الأمة الإسلامية؛ لذا تم اختيار موضوع البحث الموسوم بـ" قراءة تاريخية في طرق وأساليب التعليم العليا منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين/أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن العاشر الميلاديين".

أسباب اختيار موضوع البحث:

تعود أهمية موضوع البحث إلى أسباب عدة، أهمها، تسليط الضوء على الطرق والأساليب التعليمية المتبعة في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين. وإبراز أثر الطرق والأساليب التعليمية في التحصيل العلمي للطلبة آنذاك. والاستفادة من تلك الطرق والأساليب بما يخدم العملية التعليمية في عصرنا الحاضر.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الآتي:

ماهي الطرق والأساليب التي انتهجها المعلمون في أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجريين؟ وهل اتباع طريقة تعليمية واحدة كافٍ لإيصال المعلومات لجميع الطلبة؟ وما هي أفضل تلك الطرق من خلال الواقع التعليمي آنذاك؟

أهداف البحث:

١- استقصاء وتحليل الطرق والأساليب التعليمية في مدة البحث.

٢- توضيح أثر الطرق والأساليب في التحصيل العلمي آنذاك.

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج التاريخي باستقصاء المعلومات من مصادرها الأصلية ومقارنة الروايات التاريخية وتحليلها وفق طبيعة عصر البحث وتوظيفها بما يخدم البحث.

نطاق البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومحورين رئيسين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. تناولت المقدمة، أسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، ونطاقه. وتناول المحور الأول الطرق العامة في التعليم وأثرها في التحصيل العلمي. وتطرق المحور الثاني للأساليب الخاصة في التعليم وأثرها في التحصيل العلمي. وانتهى البحث بخاتمة بينت النتائج التي توصل إليها البحث، وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

المحور الأول: الطرق العامة وأثرها في التحصيل العلمي:

تنوعت طرق وأساليب التعليم التي سلكها العلماء في نشر العلم في حلقاتهم ومجالسهم العلمية من سماع وقراءة ورواية ووجادة، وتعرض الدراسة لها على النحو الآتي:

١- السماع

يقصد به سماع طالب العلم من لفظ الشيخ، وهو ينقسم إلى قسمين، الأول: تحديث بإملاء، والثاني: تحديث من غير إملاء، سواءً كان من حفظ الشيخ أو من كتابه، والسماع من الشيخ هو من أعلى مراتب نقل العلم وروايته، إلا أن السماع من الشيخ بلفظه والكتابة عنه إملاءً أفضل من السماع فقط دون الكتابة[١]. وقد أكد علماء النفس التعليمي على أهمية السماع والكتابة في تثبيت المعلومات في ذهن المتعلم وامكانية الرجوع إليها في الوقت الذي يحتاجه،

---

(١) السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م).**أدب الإملاء والاستملاء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٨ ؛ ابن الصلاح، عثمان بن الصلاح عبدالرحمن بن موسى بن أبي نصر الشافعي(ت٦٤٣هـ/١٢٤٦م). **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح**، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص٣١٦.

وهو في هذه الطريقة استخدم حاستي السمع والابصار في تسجيل المعلومات وتثبيتها وحفظها[١]، وفي هذا الحال يمكن لطالب العلم السامع من الشيخ أن يقول: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، وسمعت فلاناً يقول، وقال لنا فلان، وذكر لنا فلان[٢].

كان السماع من الشيخ بلفظه هي الطريقة الغالبة عند أهل العلم آنذاك[٣] فقد سمع حمزة الكناني[٤] الحديث لأول مرة في سنة٢٩٥هـ/٩٠٨م وعمره عشرين سنة، إذ سمع من أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ/٩١٦م) ثم رحل إلى العراق سنة٣٠٥هـ/٩١٧م وهو في طريقه إليها نزل في حلب فسمع من قاضيها أبو عبدالله بن عبدة[٥] وكتب عنه، وقد أعان هذا القاضي حمزة بمئتي دينار تساعده على مواصلة رحلته إلى العراق، وكان القاضي يرى أن هذا المبلغ زهيدا، على الرغم من أنه مبلغ جيد لا بأس به آنذاك؛ لأنه يحرص على مساعدة طلبة العلم وكان يتمنى أن يعطي حمزة أكثر من هذا المبلغ، ويظهر هذا في حديث القاضي نفسه حين قال لحمزة:" لو عرفتك بمصر لملأت ركائبك ذهباً"[٦]. ولما وصل حمزة إلى العراق

---

(١) ينظر: التميمي، عبدالجليل مرتضى مصطفى . **علم النفس التعليمي(سيكولوجية التعليم والتعلم)**، مكتبة دار الآفاق للنشر والتوزيع، صنعاء، (د. ت)، ص١٤٦-١٥١.

(٢) ابن الصلاح، المقدمة، ص٣١٦.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ/١٠٧١م). **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانِها العلماءِ من غير أهلها ووارديها (تاريخ بغداد)**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، مجـ٨، ص١٠٤.

(٤) أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي المصري(٢٧٥-٣٥٧هـ/٨٨٨-٩٦٧م)، محدث، صاحب مجلس البطاقة: وهو الجزء الحديثي المعروف بـ(جزء البطاقة). ينظر: الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ /١٣٤٧م). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، جـ١٦،ص١٧٩-١٨١؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد(ت٩١١هـ /١٥٠٥م). **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،(د.م)، ط١،١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، جـ١،ص٣٥١؛ الكتاني، محمد بن جعفر(ت١٣٤٥هـ/١٩٢٧م). **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥،١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٩٠.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص١٨٠.

توجه إلى أبي يعلى الموصلي[١] فسمع منه بالموصل، وبالبصرة فقد سمع من أبي خليفة الجمحي[٢]. وحمزه هذا هو صاحب مجلس البطاقة، وهي أجزاء حديثية[٣] أملاها حمزة عن النسائي وأبي يعلى الموصلي وعنه أخذها الدار قطني[٤] وغيره[٥].

وحرص طلبة علم الحديث على سماع الحديث من شيوخهم وكتابته وفهمه وشرحه، كما حرصوا على تخريج الحديث الواحد من طرق متعددة كما فعل ذلك حمزة الكناني الذي خرّج حديثاً واحداً عن النبيﷺ من نحو مئتي طريق، وشعر حمزة بالفرح وأُعجب بما قام به من جهد في تخريجه لهذا الحديث[٦].

---

(١) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى المَوْصِلي، محدث الموصل، وهو من العلماء الثقات، من مؤلفاته:(المسند)، وكتاب(المعجم)، توفي في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة٣٠٧هـ/الثاني عشر من أكتوبر سنة ٩١٩م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٤، ص١٧٤-١٨٢.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص١٧٩، ١٨٠. هو الفضل بن الحُباب بن محمد بن شعيب بن صخر البصري، من رواة الأخبار والأشعار والأنساب، روى عن خاله محمد بن سلاّم الجمحي كتابه (طبقات فحول الشعراء)، توفي أبو خليفة سنة ٣٠٥هـ /٩١٧م. ينظر: ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ/٨٤٦ م) . **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، جـ١، ص٣ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٤، ص٨-٩.

(٣) الجزء عند المحدثين هو تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم، وقد يختارون من المطالب المذكورة في صفة الجامع مطلباً جزئياً يصنفون فيه مبسوطاً، وفوائد حديثية أيضاً، ومن الأجزاء الحديثية: جزء البطاقة من إملاء أبي القاسم حمزة بن محمد الكناني. ينظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٨٦-٩٠.

(٤) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار البغدادي(٣٠٥-٣٨٥هـ/ ٩١٨-٩٩٥م)، مقرئ، محدث، وفقيه، من مؤلفاته: كتاب(السنن)، كتاب(أحاديث الصفات). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١٣، ص٤٨٧-٤٨٨؛ السمعاني، عبدالكريم بن محمد(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م). **الأنساب**، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي وآخرون، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، جـ٥، ص٢٤٥- ٢٤٦ .

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص١٧٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ١، ص٣٥١ ؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٩٠.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص١٨٠.

كان أول سماع محمد بن المظفر[١] للحديث في شهر المحرم سنة٣٠٠هـ/أغسطس ٩١٢م من أبي محمد بُنان بن أحمد الدقاق كما سمع من القاسم بن زكريا المطرز وحامد بن محمد بن شعيب البلخي ومحمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) وأبا القاسم البغوي[٢] وأبا بكر بن أبي داود[٣] وأبا محمد يحيى بن محمد بن صاعد(ت٣١٨هـ/٩٣٠م) وأشباههم من البغداديين[٤]. كما كان أول سماع ابن المقرئ[٥] سنة٣٠٠هـ/٩١٢م[٦] فقد سمع – بحسب

(١) هو محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن سلمة بن إياس أبو الحسين البزاز (٢٨٦-٣٧٩هـ/ ٨٩٩-٩٨٩م) محدث، روى عن كبار محدثي عصره . من مؤلفاته: (غرائب حديث الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس)، (حديث)، (الجزء فيه من الفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي) . ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٤، ص٤٢٧-٤٢٩؛ ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، جـ١٤، ص٣٤٣.

(٢) هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه ابن بنت أحمد بن منيع(٢١٤-٣١٧هـ/٨٢٩-٩٢٩م)، محدث وفقيه، من فقهاء بغداد على المذهب الحنبلي، صنف كتباً في الفقه الحنبلي ككتاب (مسائل أحمد بن حنبل)، وكتاب آخر في المذاهب الفقهية سماه(السنن في الفقه على مذاهب الفقهاء). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١١، ص٣٢٥ ؛ السمعاني، الأنساب، جـ٢، ص٢٥٥.

(٣) محمد بن داود بن علي الظاهري، فقيه ومحدث وأديب ومتكلم، وهو إمام الفقه على المذهب الظاهري، توفي سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م. ابن النديم، محمد بن اسحاق(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م). **كتاب الفِهْرِسْت**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، مجـ٢، جـ٦، ص٦٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٤، ص٤٢٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٤، ص٣٤٣ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٤١٨-٤١٩.

(٥) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني،(٣٠٥-٣٨٥هـ/٩١٨-٩٩٥م)، مفسر ومحدث وفقيه، كان مذهبه في الأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأبي زرعة الرازي، من مؤلفاته: (معجم الشيوخ)، (تهذيب مسند الإمام أبي حنيفة) . ينظر: الصالحي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي (ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م). **طبقات علماء الحديث**، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، جـ٣، ص١٦٥-١٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٣٩٨-٤٠١.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٣٩٨ ؛ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **كتاب تذكرة الحفاظ**، تصحيح: عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، جـ٣، ص٩٧٣؛ ابن العماد، أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م، جـ٤، ص٤٢٨.

المصادر – مالا يُحصى من العلماء[١]. وأشارت كتب الطبقات إلى أن ابن السُّني[٢] سمع من أبي خليفة الجُمحي وهو أكبر مشايخه، ومن أبي عبدالرحمن النسائي وقد أكثر من السماع والأخذ عنه وكتابه (المُجْتنى) يشهد له بذلك فهو اختصار لكتاب شيخه النسائي (السنن)، كما سمع من أبي القاسم البغوي وغيرهم[٣]. كما سمع أبو أحمد محمد الغطريفي(٢٨٠-٣٧٧هـ/٨٩٣-٩٨٧م) من أبي خليفة الجُمحي وأكثر من السماع عنه حتى استوعب ما عنده[٤]. وسمع ابن شاهين[٥] علم الحديث من أبي القاسم البغوي وأبي بكر بن أبي داود ويحي بن صاعد وغيرهم[٦]، فكان عند ابن شاهين – بحسب ما جاء في كتب الطبقات والسِّير– عن سماعه البغوي سبع مئة جزء وقيل ثمان مئة جزء[٧]. وسمع الدار قطني وهو صبي أبا القاسم البغوي وأبا بكر بن أبي داود وابن صاعد وابن دريد[٨] وخلقاً كثيراً من هذه الطبقة ومن جاء بعدهم[٩].

---

(١) ينظر: الصالحي، طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص١٦٥-١٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٣٩٨ -٤٠٠؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ ، جـ٣، ص٩٧٣.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الهاشمي الجعفري الدينوري(٢٨٠-٣٦٤هـ/ ٨٩٣-٩٧٤م)، محدث، مؤلفاته: كتاب(عمل اليوم والليلة) وهو اختصار لكتاب(سنن النسائي). ينظر: الصالحي، طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص١٣٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٣) الصالحي، طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص١٣٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٤) السمعاني، الأنساب، جـ٩، ص١٥٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٣٥٤ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٣، ص٩٧١ ؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد(ت٩١١هـ/١٥٠٥م). **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م. ص٣٨٨.

(٥) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي(٢٩٧- ٣٨٥هـ/ ٩٠٩- ٩٩٥م) مقرئ، مفسر، محدث، ومؤرخ، من مؤلفاته: له مايزيد على٣٣٠ مصنفاً، منها: (تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم)، (التفسير الكبير)، (المسند). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١٣، ص ١٣٣-١٣٧.

(٦) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٤٣١-٤٣٢ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ٣، ص٩٨٧.

(٧) الصالحي، طبقات علماء الحديث، جـ٣، ص١٨١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٤٣٣؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). **لسان الميزان**، عناية: عبدالفتاح أبو غدة وسلمان عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، جـ٦، ص٦٨.

(٨) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حَنْتَم، من أزد عُمَان، نحوي ولغوي أديب وشاعر، من كتبه:(الاشتقاق)، توفي سنة٣٢١هـ/٩٣٢م. ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص١٧٩-١٨٠.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١٣، ص٤٨٧؛ السمعاني، الأنساب، جـ٥، ص٢٤٦؛ ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م). **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت،١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مجـ٢، ص٤٢٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٤٤٩-٤٥٠؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٣٩٤.

أما النحو والأدب، فقد سمع أبو علي القالي[١] أخبار نفطويه(ت٣٢٣هـ/٩٣٥م) التي جمعت في ثمانٍ وعشرين جزءاً، كما سمع خمسة أجزاء من أخبار ابن الأنباري[٢]، كذلك أخذ ثمانية وخمسون جزءاً من أخبار ابن دريد سماعاً[٣]

٢- القراءة

يقصد بها أن يُسمع المتعلم شيخه الكتاب أو حفظه لهذا الكتاب من لفظه[٤]. وعادة ما تكون القراءة عندما يكون الشيخ قد كَبِر وضعف وثقل لسانه فيقرأ تلامذته عليه[٥]. وهي من طرق التدريس التي استخدمت في هذا العصر – مدة الدراسة – لكن بعض العلماء قلل من أهميتها وقيمتها العلمية؛ لأن القارئ إذا قرأ على الشيخ ربما غفل عنه أو نعس فلا يستمع إليه، وبذلك قد يقع القارئ في الخطأ دون أن يتنبه الشيخ لذلك الخطأ ويقوم بتصويبه، وإن قرأ الشيخ على الطالب السامع فربما اشتغل بشيءٍ عن سماعه، وكذلك إن قُرئ على الشيخ من قبل الطالب الأول والطالب الثاني يسمع فربما سهى في قراءته دون أن يلحظ الشيخ ذلك[٦]، وكيفما

---

(١) هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون القالي البغدادي(٢٨٠-٣٥٦هـ/٨٩٣-٩٦٧م)، لغوي وشاعر، من مؤلفاته: كتاب في الخبر يُعرف بـ(النوادر)، وكتاب(البارع في اللغة). ينظر: أبي بكر الزبيدي، محمد بن الحسن(ت٣٧٩هـ/٩٨٩م). **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م، ص١٨٥-١٨٨.

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سَمَاعة بن فروة بن قَطَن بن دعامة(٢٧١-٣٢٨هـ/٨٨٤-٩٣٩م)، مفسر ومحدث، أديب وشاعر، من مؤلفاته: كتاب(الكافي في النحو)، كتاب(غريب الحديث)، كتاب(نقض مسائل ابن شنبوذ)، وعمل عدة أشعار ودواوين من أشعار العرب. ينظر: أبي بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص١٥٣-١٥٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٤، ص٢٩٩-٣٠٤.

(٣)ابن خير الأشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م). **فهرسة ماروا عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعرفة**، تحقيق: فرنسشكه قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوه، مطبعة قومش، سرقسطة، ١٣١٠هـ-١٨٩٣م، ص٣٩٨.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١١، ص٨٦ ؛ القفطي، أبي الحسن علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م). **انباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ج٢، ص١٣١.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٨، ص١٠٤.

(٦) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص٨.

كان الأمر فإن القراءة على الشيخ هي إحدى طرق التعليم والتلقي آنذاك، وبها أخذ كبار العلماء عن مشايخهم صنوف العلم بضروبها المختلفة.

فممن تناول علم القراءات على يد مشايخ هذا العصر، ابن مروان[١] فقد قرأ القرآن الكريم في سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م على أبي بكر بن سيف بمصر على قراءة ورش، كما أخذ قراءات أخرى عن غيره[٢]. وقرأ صالح بن إدريس[٣] على ابن مجاهد[٤] حتى صار أحد الحذاق البارعين في القراءات وعللها[٥]. وكان ابن مجاهد يحرص في تعليم تلامذته أن يغرس فيهم الأدب والأخلاق قبل العلم؛ فعندما قدم ابن مجاهد على طلابه، سارع أحدهم إليه ليبدأ القراءة عليه، فطلب منه ابن مجاهد أن يتمهل ويترفق، وأخبره أن أدب النفس أولاً ثم أدب الدرس[٦]. كذلك قرأ ابن سيف المالكي[٧] القرآن الكريم بالبصرة على أبي خليفة الجمحي سنة٣٠٣هـ/٩١٥م[٨]. وأخذ الحجاجي النيسابوري(٢٨٥-٣٦٨هـ/٨٩٧-٩٧٨م) القراءات السبع عن أبي بكر بن مجاهد قراءةً[٩].

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مروان(٢٨٠-٣٦٥هـ/٨٩٣-٩٧٥م)، أحد القراء المشهورين بعلو الإسناد بقراءة ورش . ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: طيَّار آلتي قولاج، (د.ن)، استانبول، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، مجـ٢، ص٦٢٤.

(٢) الذهبي، معرفة القراء، مجـ٢، ص٦٢٤.

(٣) أبو سهل صالح بن إدريس بن صالح بن شعيب الإمام البغدادي(٣٠٠-٣٤٥هـ/٩١٢-٩٥٦م)، تصدر للإقراء بدمشق بعد أن أخذ علم القراءات عن ابن مجاهد ببغداد. ينظر: الذهبي، معرفة القراء، مجـ٢، ص٥٨٩.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادي العَطَشي (٢٤٥-٣٢٤هـ/٨٥٩-٩٣٥م)، مقرئ بغداد في عصره. ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ١، ص٨١- ٨٢ .

(٥) الذهبي، معرفة القراء، مجـ٢، ص٥٨٩.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٣، ص٣٥٨.

(٧) هو أبو القاسم عمر بن محمد بن سيف بن محمد بن جعفر الكاتب، محدث ثقة، روى عن كبار شيوخ عصره كأبي القاسم البغوي وأبي بكر بن أبي داود وغيرهما، توفي سنة٣٧٤هـ/٩٨٤م. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١٣، ص١٢٣-١٢٤.

(٨) ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي(ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م). **غاية النهاية في طبقات القراء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عن الطبعة التي عني بنشرها ج. برجستراسر سنة١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، جـ٢، ص١٠.

(٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٤، ص٣٦٣ ؛ السمعاني، الأنساب، جـ٤، ص٥٨.

وقد يشترك الشيخ بالقراءة مع تلميذه ليشرح له بعض المسائل الغامضة، وهذا ما فعله ابن درستويه[١] مع أبي علي القالي حيث قرأ كل ما جاء في كتاب سيبويه مع أبي علي القالي وفسّر له بعض المسائل وبيَّن له عِللها، وقد وثَّق ذلك أبو علي القالي، إذ قال: " وقرأ معي الكتاب أبو جعفر أحمد بن أبي محمد دَرَسْتَويه تعليما ورواية الكتاب أجمع"[٢]. كما أن ابن درستويه امتحن أبي علي القالي فيما جاء في كتاب سيبويه من مسائل نحوية وسأله عن كل صغيرة وكبيرة وردت في هذا الكتاب، وبعد ذلك أجاز له رواية هذا الكتاب[٣].

وممن تخصص في تدريس النحو أبو جعفر النحوي[٤] الذي كان يُدرِّس في مدينة بغداد سنة٣٠٤هـ/٩١٦م، فقد كان متصدراً لإقراء النحو وإفادته الطلبة[٥]. كذلك ممن تصدر لتدريس علم النحو – بحسب ما جاء عند الرواة– أبو بكر عبدالله بن محمد بن شقير(ت٣١٧هـ/ ٩٢٩م) واستفاد الناس من علمه[٦].

وقرأ الطلاب على شيوخهم قصائد شعرية حتى يجيزوا لهم روايتها عنهم، وهذا ما فعله أبو علي القالي الذي قرأ قصيدة كاملة على أبي بكر بن دريد لجميل بن معْمر العذري وقصائد أخرى له[٧]، وقصيدة لابن الدمينة وقصائد أخرى، فأجازه أبو بكر بن دريد في كل ما قرأه

---

(١) هو أبو محمد عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه(٢٥٨–٣٤٧هـ/٨٧١–٩٥٨م)، مقرئ ومفسر ومحدث، نحوي وأديب، لقي المبرد وثعلباً وأخذ عنهما، وكان – بحسب المصادر– فاضلاً متعصباً لمذهب البصريين في النحو تعصباً شديداً، وكان فَسَوياً سكن بغداد إلى حين وفاته، له كتب كثيرة منها: (الإرشاد في النحو)، كتاب(معاني القرآن) لم يتمه، كتاب(أسرار النحو) لم يتمه، كتاب(النصرة لسيبويه على جماعة النحويين). ينظر: أبي بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص١١٦ ؛ ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص١٨٥–١٨٧.

(٢) أبي بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين،ص١٢١.

(٣) أبي بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص١٢١، ١٨٥.

(٤) هو أحمد بن محمد بن يزديار بن رستم بن يزديار الطبري، سكن بغداد، من مؤلفاته: (النحو)، (المقصور والممدود)، (المذكر والمؤنث)، كتاب(صورة الهمز). ينظر: القفطي، إنباه الرواة، جـ١، ص١٦٣.

(٥) القفطي، إنباه الرواة، جـ١، ص١٦٣.

(٦) القفطي، إنباه الرواة، جـ٢، ص١٣٥.

(٧) ينظر: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م). **كتاب الأمالي**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، جـ١، ص٢٠٢ ،٢١٦.

عليه[١]. وكتب أبو علي القالي من كتاب أبي بكر بن دريد شعراً وقرأه عليه، فأجاز أبو بكر بن دريد لأبي علي القالي رواية هذا الشعر عنه[٢].

إيضاح المعلم لطالبه بالقراءة الصحيحة:

أعاد بعض طلبة العلم على أستاذهم قراءة كتاب ما عدة مرات؛ ليتعلمو القراءة بشكل صحيح، وهذا ما فعله أبو الفهد[٣] الذي قرأ (كتاب سيبويه) في النحو على أبي إسحاق الزجاج مرتين، فقال له الزجاج: "يا أبا الفهد أنت في الدَّفْعة الأولى أحسن حالاً منك في الدفعة الثانية"[٤].

الجمع بين السماع والقراءة: أخذ الدار قطني القراءة عرضاً – أي إجازة – وسماعاً عن محمد بن الحسن النقاش وعلي بن سعيد القزاز ومحمد بن الحصين الطبري وأبي الحسين أحمد بن بُويان وأحمد بن محمد الديباجي ومن في طبقتهم، وسمع القراءات السبعة من أبي بكر بن مجاهد وهو صغير السن[٥].

٣- الوِجَادة

الوجادة لغة: مصدر لوَجَدَ، وهي اسم لما أُخِذ من العلم من صحيفة أو كتاب من غير سماعٍ ولا إجازةٍ ولا مُناوَلةٍ، وهو مُوَلَّدٌ غيرُ مسموعٍ[٦]، بمعنى التحصيل الذاتي عن طريق الكتب

---

(١) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، جـ١، ص ٢٠٣-٢٠٤ ، ٢٠٩، ٢١٣.

(٢) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، جـ١، ص٢١٧.

(٣) لغوي نحوي بصري، كان تلميذاً لأبي بكر بن الخياط، وكان فيه بلهٌ وتغفّل، له كتاب(الإيضاح في النحو). أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص١١٩؛ ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص٢٦٢.

(٤) ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص٢٦٢؛ القفطي، إنباه الرواة، جـ٤، ص١٥٨؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد(ت٩١١هـ/١٥٠٥م). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر، مصر، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، جـ٢، ص٢٤٩.

(٥) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، مجـ٣، ص٢٩٧؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٣٩٥.

(٦) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م). **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج وإبراهيم الترزي، مراجعة: مصطفى حجازي وآخرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، جـ٩ ، ص٢٦٠.

دون الرجوع إلى العلماء[١]. واصطلاحاً: يقصد بها أن يقف طالب العلم على أحاديث بخط راويها لا يرويها الواجد، ولم يطلب الإجازة من كاتبها ولم يسمعها منه، فله أن يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه حدثنا فلان ويسوق الإسناد والمتن[٢]. وهذه الصورة تمثل أهم صور التحصيل العلمي؛ لشموليتها؛ ولكونها من أسهل طرق تلقي العلم وتحصيله؛ لأنها لا تحتاج إلى الرحلة والسفر، والرحلة تحتاج لكثير من التجهيزات المادية والتي لا تتوافر لدى بعض طلبة العلم.

ويبدو أن معظم العلماء لاسيما المحدثين منهم يذهبون إلى القول بعدم العمل بالوجادة؛ إذ أن معظم المحدثين المالكيين يرون عدم جوازها، بينما المحدثين الشافعيين فيرون جوازها، بل أن بعض المحققين الشافعيين جزم بوجوب العمل بها لكن اشترطوا في ذلك ضرورة حصول الثقة في من يشتغل بها[٣]. وقد وافق السيوطي الشافعيين في ذلك مبرراً موقفه هذا إلى طبيعة الزمان الذي يعاصره هو، وأنه يتوافق مع طبيعة عصره وأن هذا هو المنهج الصحيح من وجهة نظره[٤]. وهذه الرؤية تتفق تماماً مع عصرنا الحاضر، وتتفق مع المنهج العلمي الحديث مع التأكيد على شرط الشافعية في هذا الموضوع. وعلى الواجد أن يثق بأن هذا الخط أو الكتاب للمؤلف المذكور اسمه على غلاف الكتاب أو في متن الكتاب أو آخر الكتاب حينها يمكن له أن يقول ذكر فلان أو قال فلان، أما في حال عدم ثقته بذلك فيمكنه القول بلغني عن فلان، أو وجدت في نسخة من كتابه ونحو ذلك[٥]. ويؤكد السيوطي بأن أكثر الناس في عصره وما سبقه من عصور تساهلوا

---

(١) الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد. **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م، ص٨٨.

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ/١٠٧١م). **كتاب الفقيه والمتفقه**، تحقيق: عادل بن يوسف العَزَازي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية– الدمام، ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، جـ٢، ص١٩٣–١٩٤؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد(ت٩١١هـ/١٥٠٥م). **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، شرح وتعليق: أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م، جـ٢، ص٣٥.

(٣) السيوطي، تدريب الراوي، جـ٢، ص٣٦.

(٤) تدريب الراوي، جـ٢، ص٣٦.

(٥) السيوطي، تدريب الراوي، جـ٢، ص٣٦.

في عملية التحري والتقصي من صحة نسبة الكتاب لمؤلفه أو أنه بخط المؤلف أو بخط أحد تلاميذه، ومع هذا فهو يُجْزِم بأن الالتزام بهذا المنهج في التحري والتوثق هو الصواب(١).

تعرض العلماء الذي ساروا على هذا المنهج (الوجادة) للنقد، فقد سئل الدار قطني عن تقييمه لمكانة ابن عقدة(٢) العلمية ومدى ثقة النقل عنه، فأجاب بقوله: "لم يكن في الدين بالقوي، وأكذِّب من يتهمه بالوضع، إنما بلاؤه من هذه الوجادات"(٣).

ويظهر من جواب الدار قطني أنه يثق بابن عقدة نفسه؛ لكنه لا يثق بالكتب التي نقل عنها ابن عقدة، ويحتمل؛ لأن علماء الحديث كانوا شديدي الحرص في الرواية والإسناد ويعتمدون على السماع والعرض والتوثيق في سلسة السند وصحته فانتقدوا مثل هكذا طريقة في التحصيل العلمي؛ ويحتمل لأن ابن عقدة لم يتحقق من صحة ما جاء في الكتب التي أخذ عنها؛ نتيجة ظروف ذلك العصر وصعوبة التحقق من كل ما ورد، وربما أن ابن عقدة كان يحيل للمصادر التي نقل عنها أحيانًا ويهمل ذلك أحيانًا أخرى، وهذا ما أشار إليه ابن عدي بأنه رأى لدى ابن عقدة مُجازفات في روايته، وأن فلانة أعطته كتاب وحدثته بأنه لفلان دون أن يتأكد من صحة قولها ومن صحة نسبة الكتاب لمؤلفه(٤). وهذا النقد لابن عقدة لا يعني الانتقاص منه ولا يدل على ضعفه؛ لأن ابن عدي اعتمد في منهجه لكتابه (الكامل في ضعفاء الرجال) على ذكر كل من تكلم فيه متكلم ولم يحابي أحداً، وابن عدي أشار إلى ذلك ولولا هذا السبب المنهجي الذي سار عليه لم يذكر ابن عقدة؛ لسعة معرفته وفضله وقوة حفظه؛ ولذلك فالنقد الشنيع الذي وجهه له معاصروه لا يؤخذ به فهو من قبيل الحسد(٥).

---

(١) السيوطي، تدريب الراوي، جـ٢، ص٣٦.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن زياد بن عجلان الكوفي (٢٤٩-٣٣٢هـ/٨٦٣-٩٤٣م)، مفسر ومحدث وفقيه كوفي شيعي المذهب، من مؤلفاته: (التفسير)، و(السنن). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٦، ص١٤٧-١٥٩ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ص٣٤١-٣٤٤.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، جـ١، ص٢٨٢.

(٤) أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني(ت٣٦٥هـ/٩٧٥م). **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، جـ١، ص٣٣٩.

(٥) جـ١، ص٣٣٨، ٣٣٩.

ويرى روزنثال[١] أن الظاهرة التي كانت سائدة آنذاك وعني بها المسلمون تتمثل في أهمية القيمة النسبية للتعلم على يدي معلم وللتحصيل الذاتي[٢]. وكيفما كان الأمر فإن هذه الطريقة(الوجادة) كانت من الطرق المستخدمة آنذاك في التحصيل العلمي، وإن شابها قصور في حينها ولم تكن وفق منهج علمي دقيق، إلا أنها تطورت مع تطور الزمان لتصبح ذات قواعد وأسس رصينة متعارف عليها تستخدم في البحوث والرسائل والأطاريح العلمية على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي.

٤- الرواية:

الرواية: هي النقل عن طريق المشافهة، نقل الخبر أو العلم عن طريق المشافهة، ومن كثرت روايته يقال عنه راوية[٣]. وتنوعت مجالات الرواية فمنها ما شمل صنفاً من العلوم ومنها ما تناول صنوفاً متعددة، ولعل هذا يعود لعدة أسباب من أهمها: اهتمام العَالِم بهذا العلم دون غيره. وتوافر العلماء في إحدى مجالات العلوم في منطقة جغرافية بعينها ساعد على اجتذاب طلبة العلم بالرحلة إليهم من مناطق شاسعة لأخذ العلم والرواية عنهم، إضافة لصلة ذلك العلم بالدين فقد يعزز ذلك من كثرة الاهتمام بالرواية فيه، وحدد بعض العلماء سن الرواية من العشرين؛ لأنها مجتمع العقل، بينما سن الدراية هو الأربعين[٤].

---

(١) هو فرانز روزنثال .Rosenthal F مستشرق بريطاني، عمل أستاذاً في جامعة ييل، حقق ونشر وترجم عدداً من المخطوطات العربية في الأدب والتاريخ بصورة خاصة، اهتم بالتصوف في الإسلام وبالعلوم عند العرب لاسيما مؤلفات الكندي، له العديد من البحوث والمقالات، من أبرز مؤلفاته: (الكندي في الأدب)، (تاريخ الأطباء)، (الكندي وبطليموس)، (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي)، (علم التاريخ عند المسلمين). ينظر: العقيقي، نجيب. **المستشرقون**، (دار المعارف، القاهرة، ط٥،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، جـ٣، ص١٦٢- ١٦٣.

(٢) روزنثال، فرانز. **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي**، ترجمة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين، نيويورك- الولايات المتحدة الأمريكية، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٢٣.

(٣) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٠٠هـ-١٨٨٣م، مجـ١٤، ص٣٤٨.

(٤) الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن(ت٣٦٠هـ/٩٧١م). **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، تحقيق وتقديم وتخريج وتعليق وفهرسة: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ص١٨٨.

وروى ابن دريد لتلاميذه روايات تاريخية عن أحوال الدولة الأموية وخلفائها[١]، كذلك روى نفطويه لطلابه روايات تاريخية عن الولاة وأخبار القضاة[٢] وأحوال الناس في عصر الدولة الأموية. وكان الأخفش(ت٣١٥هـ/٩٢٨م) يروي لتلاميذه عن أخبار الخليفة المأمون بإسهاب بينما يوجز في روايته عن بقية الخلفاء العباسيين إلى زمنه[٣].

في حين روى أبو جعفر الكاتب[٤] كتب أبيه كلها التي أشارت المصادر بأنها بلغت واحدًا وعشرين كتاباً[٥] حفظاً ولم يكن معه كتاب في بغداد لذا كانت الرحلة إليه لسماع كتب أبيه منه[٦]، وحدّث بها في أصبهان وغيرها[٧]. أما أبو منصور الأزهري[٨]- الإمام المشهور في

(١) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، جـ١، ص١٩٨.

(٢) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، جـ١، ص٢١٣ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٤، ص٦٣٥.

(٣) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، جـ١، ص١٩٨، ١٩٩.

(٤) هو أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الدينوري(ت٣٢٢هـ/٩٣٤م)، ولد ببغداد وسمع من أبيه وحفظ تصانيفه كلها مثل كتاب (عيون الأخبار)، وكتاب (فضل العرب والتنبيه عل علومها)، وكتاب(المعارف)، وكتاب (الإمامة والسياسة)، ويقال بأن والده حفظها له، تولى قضاء مصر سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م . ينظر: الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف(ت٣٥٠هـ/٩٦١م). **الولاة وكتاب القضاة**، تهذيب وتصحيح: رفن كَست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،١٣٢٦هـ-١٩٠٨م، ص٥٤٦-٥٤٨ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٥، ص٣٧٨.

(٥) ينظر: الكندي، الولاة ، ص٥٤٧.

(٦) الكندي، الولاة، ص٥٤٧.

(٧) الكندي، الولاة، ص٥٤٨.

(٨) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر الأزهري الهروي،(٢٨٢-٣٧٠هـ/ ٨٩٥-٩٨٠م) كان فقيهاً شافعياً غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، من مؤلفاته: كتاب(تهذيب اللغة) وكتاب (التفسير)، وكتاب (علل القراءات)، توفي بمدينة هَراة. ينظر: ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالواحد بن محمد (ت٥٧٧هـ/١١٨١م). **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٢٨٠ ؛ ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م). **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، جـ٥، ص ٢٣٢١-٢٣٢٣؛ ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٤٣١هـ-٢٠١٠م، جـ٧، ص٤١-٤٢؛ السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م). **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م، جـ٣، ص٦٣-٦٨.

اللغة– فقد روى عن أبي القاسم البغوي ونفطويه وأبي بكر بن السراج[١]، وترك الأخذ عن ابن دريد، بالرغم من أن ابن دريد كان واسع الرواية، فقد وصفته كتب التراجم بأنه لم يُرَ أحفظ منه، تُقرأ عليه دواوين العرب ويسابق إلى إتمامها من حفظه[٢] فقد كان آية من الآيات في قوة الحفظ[٣]؛ تورعاً وتديُّناً؛ لأنه دخل إلى داره أكثر من مرة فرآه على كرسيه مع كبر سنه سكران[٤] لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره[٥]. وفي هذا الموضوع يرى عبدالسلام محمد هارون أن مبلغ الظن أنه كان يشرب النبيذ على مذهب أهل العراق، ولم يكن هذا مطعناً في كثير من أكابر الرواة الموثَّقين[٦].

وأشارت كتب الأدب إلى أن أبا عبدالله الأكفاني كان راوياً للمفجع[٧] فقد روى عنه الكثير من شعره[٨]. أما في علم القراءات نجد بأن ابن شاهين قد روى القرآن الكريم بقراءاته السبع عن أبي بكر بن أبي داود وأبي بكر بن مجاهد وغيرهما[٩].

---

(١) أبو بكر محمد بن السَّريّ بن سهل البغدادي، مقرئ ونحوي وشاعر وجغرافي، توفي سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م. ينظر ترجمته: ابن النديم، الفهرست، مج١، ج٢، ص١٨١–١٨٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٣٥–٢٥٣٦.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٧، ص٣٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٩٧.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م، ج٢٦، ص٤٤٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣١٦؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٦٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص ٣٧٩.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص ٢٣٢٢.

(٦) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٢م). **كتاب الاشتقاق**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ–١٩٩١م، مقدمة المحقق، ص١٤.

(٧) أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله الكاتب البصري، شاعر البصرة وأديبها في عصره، وكان له شعر كثير في أهل البيت، توفي سنة٣٢٠هـ/٩٣٢م. السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٣١.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٢٣٤١.

(٩) الداوودي، محمد بن علي بن أحمد(ت٩٤٥هـ/١٥٣٨م). **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، ج٢، ص٤.

تميَّز بعض العلماء عن أقرانهم ومعاصريهم باتساع الرواية في صنوف متعددة من العلوم، وممن عُرف بهذه الصفة أبو الفرج الأصفهاني، وفي هذا الصدد أشاد أبو القاسم التنوخي[١] بقدرات أبي الفرج الأصفهاني في هذا المجال، حيث وصفه بقوله:" ومن الرُّواة المُتَّسعين[٢] الذين شاهدناهم أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، فإنه كان يحفظ من الشعر، والأغاني، والأخبار، والآثار، والحديث المسند، والنسب، مالم أرَ قط من يحفظ مثله. وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء، ويحفظ دون ما يحفظ منها من علوم أخر منها: اللغة، والنحو، والخرافات، والسير، والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً، مثل علم الجوارح، والبيطرة، ونُتفاً من الطب، والنجوم، والأشربة، وغير ذلك"[٣]. لكنه لم يرو مباشرة عن جميع المشايخ المذكورين في كتبه ولكن من أصولهم.

تحرى العلماء الدقة في الرواية، فابن درستويه لما كان يروي خبراً لطلابه وهو غير متيقن بصحة رواية ذلك الخبر يذكر كلمة (زعم فلان)[٤] بالإضافة إلى ذلك يحتمل أنه قصد من ذلك تحفيز طلابه على التأكد من صحة تلك الرواية. وصف الخطيب البغدادي أبا بكر النجاد[٥] أنه ممن اتسعت رواياته وانتشرت أحاديثه بين أهل العلم وعامة الناس[٦]؛ ولعل ذلك يعود إلى أنه عاش خمساً وتسعين سنة قضاها في نشر العلم؛ ولذلك اتسعت طُرق روايته للحديث، وتفرده بروايات عن شيوخه لم يسمع بها أقرانه[٧].

---

(١) هو علي بن محمد(٢٧٨-٣٤٢هـ/٨٩٢-٩٥٤م)، فقيه وقاضٍ ومتكلم وشاعر، درس في صباه بأنطاكية في المكتب سنة٢٨٧هـ/٩٠٠م، ثم قدم بغداد وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع من شيوخها، ولي القضاء بالأهواز وسائر كُوَرها. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٥٥٠-٥٥٣.

(٢) ذكر القفطي لفظة (المتشيعين) بدل (المتسعين). إنباه الرواة، ج٢، ص٢٥١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج١٣، ص٣٣٩.

(٤) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص٥٦.

(٥) أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل البغدادي(٢٥٣-٣٤٨هـ/٨٦٦-٩٥٩م)، محدث وفقيه حنبلي، جمع (المسند) وصنف كتاباً كبيراً في(السنن). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص٣٠٩-٣١٣.

(٦) تاريخ بغداد، مج٥، ص٣١٠.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مج٥، ص٣١٠، ٣١٣. لمعرفة الكتب والمجالس المفردة والأمالي التي وقعت للذهبي من رواية النجاد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٠٥.

المحور الثاني: الأساليب الخاصة وأثرها في التحصيل العلمي:

١- أسلوب الفهم

الفَهْمُ: جودة الذِّهنِ من جهة تَهَيُّئِه لاقتناص ما يَرِدُ عليه من المَطَالِب، يقال رجل فَهِمٌ أي سريع الفَهْمِ، بمعنى عَلِمَهُ وعَرَفَهُ بالقَلْبِ، واستَفْهَمَنِي الشيء: طَلَبَ مني فَهْمَهُ، فأفْهَمْتُه إيَّاهُ، وفَهَّمْتُهُ تفهيمًا أي جعلته يَفْهَمُهُ[١]. فقد اعتمد بعض العلماء أسلوب الفهم في إيصال المعلومات لطلابهم، باعتباره من الأساليب التعليمية الناجعة، واقتداءً بالرسول الكريم محمدﷺ الذي سلك في تعليمه للصحابة هذا الأسلوب – التوضيح والفهم–[٢] واستمر العمل بهذا الأسلوب في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين[٣] وإلى عصرنا الحاضر، وممن عمل بهذا الأسلوب أبو بكر البَرديجي[٤] الذي اعتمد أسلوب الفهم في شرح الحديث لطلابه[٥]. كما استخدم هذه الطريقة نفطويه؛ إذ درَّس النحو على طريقة سيبويه وكان يدرِّس شرح كتابه[٦].

٢- الاختصار

الاختصار لغة: هو تجريد اللفظ اليسير من اللفظ الكثير مع بقاء المعنى، والاختصار في الكلام بأن يترك الفُضُولَ ويَسْتَوْجِزَ الذي يَأْتي على المعنى[٧]. ومن أساليب التدريس – الأخرى – التي استخدمها المعلمون منذ زمن المعلم الأول في الإسلام الرسول الكريمﷺ وتتابع

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، جـ٣٣، ص٢٢٤.

(٢) لمعرفة طرق وأساليب الرسول محمدﷺ في التعليم. ينظر: عبدالفتاح أبو غُدّة . **الرسول والمعلمﷺ وأساليبه في التعليم**، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب– سوريا، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٦٣-٢١٨.

(٣) ينظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، جـ٢، ص٢٥٨-٢٦١.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن هارون بن روح البردعي البرديجي النيسابوري، ونسبته إلى (برديج) وهي قرية صغيرة بأقصى أذربيجان، كان فقيهاً محدثاً ثقة حافظاً، توفي ببغداد في رمضان سنة٣٠١هـ/ مايو٩١٤م. السمعاني، الأنساب، جـ٢، ص١٣٩-١٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٤، ص١٢٢-١٢٣.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٦، ص٤٣١.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ١، ص١١٤.

(٧) الزبيدي، تاج العروس، جـ١١، ص١٧٣.

المعلمون باتباع هذا الأسلوب في تدريسهم[١] منذ ذلك الحين وإلى عصر الدراسة طريقة الاختصار، فقد كان الشيخ أبو موسى الحامض يدرس علم النحو، ومن الكتب التي كان يُدرِّسها كتاب(الإدغام) للفَرَّاء[٢] برواية ثعلب[٣] عن سلمة عن الفراء بطريقة مختصرة مفيدة لأن يفهم الطلاب الموضوع بسهولة، وقد أثارت هذه الطريقة إعجاب الحاضرين حتى أن أحدهم قال له: أراك تُلَخِّص الجواب تلخيصاً ليس في الكتب، فرد عليه أبو موسى بأن هذا ثمرة صحبة ثعلب أربعين سنة[٤] وما زال يوالي التدريس حتى توفي[٥].

٣- المناقشة وطرح الأسئلة وتدوينها

من أساليب التدريس آنذاك أسلوب المناقشة، وهي تبادل الحوار بين المدرس وتلاميذه عن طريق طرح الأسئلة عليهم وإجابتهم عنها، فقد حرص العلماء على أن يبدأ الطلاب بأسئلتهم من ثم يبدؤون التحديث اقتداءً بالرسول الكريمﷺ الذي كان يحض أصحابه على السؤال قبل أن يبدأ الدرس حتى تعم الفائدة لجميع الحاضرين، فالعلم خزائن مقفلة ومفتاحه السؤال[٦]، وهذا ما كان يفعله أبو إسحاق الزجاج[٧] مع طلابه ومن يحضرون مجلسه لأخذ العلم عنه، فقد كان

---

(١) ينظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، جـ٢، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور(ت٢٠٧هـ/٨٢٢ م)، مقرئ ونحوي، هو من أهل الكوفة، قدم بغداد وأملى بها كتبه في معاني القرآن الكريم وعلومه كلها حفظاً عدا كتابين، وكان ثقة، أسند إليه الخليفة المأمون تأديب ابنيه وتلقينهما النحو، من كتبه: كتاب (المعاني)، وكتابان في(المُشْكل). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١٦، ص٢٢٤-٢٣١.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٠٠-٢٩١هـ/٨١٥-٩٠٣م) نحوي ولغوي كوفي ثقة، من أشهر علماء مدرسة الكوفة بالنحو إن لم يكن بزَّهم، كذلك كان لغوياً وشاعراً، من مؤلفاته: (كتاب اختلاف النحويين)، و(كتاب ما تَلْحَنُ فيه العامة). ينظر: أبي الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص٩٥-٩٦؛ ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص٢٢٥-٢٢٧؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، جـ٧، ص١٠٤-١٠٦.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١٠، ص٨٥-٨٦.

(٥) ضيف، شوقي. **المدارس النحوية**، دار المعارف، القاهرة، ط٧،١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص٢٣٧.

(٦) ينظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، جـ٢، ص٦١-٦٢.

(٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، مفسر ونحوي، اشتهى دراسة علم النحو فلزم المبرد حتى يتعلم النحو على يديه وجعل له كل يوم درهماً أجرة على تعليمه، فداوم على إعطائه ذلك حتى فرق بينهما الموت، من أهم مصنفاته: (معاني القرآن)، و(مختصر نحو)، توفي سنة٣١٦هـ/٩٢٨م.ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص٢١٦.

الزجاج يتبع مع تلامذته أسلوب المناقشة فيسألهم عن مسألة ما في النحو ويناقش معهم أجوبتهم عن هذا السؤال[١].

وروى أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق المشهور بالزجاجي(ت٣٣٧هـ/٩٤٩م) عن بعض زملائه أن أبا موسى الحامض[٢] دسّ رجلاً غريباً بمسائل نحوية في مجلس أبي إسحاق الزجاج وذلك بعد صلاة يوم الجمعة؛ ليحرج الزجاج في المجلس، ولكن الزجاج كان على حد تعبير تلميذه بحراً في العلم أجابه إجابات دلت على نبوغه في هذا العلم[٣]، وهو ما فطن إليه أحد الحاضرين للمجلس فأنشد أبياتاً شعرية تحدّث فيها عن رغبة حُسّاد الزجاج ومنافسوه من الحط من قدره والزجاج منزل من منازل القمر، وأن إجابات الزجاج ما هي إلا القليل اليسير من بحر كثير[٤]. ولما حضر أبو علي الفارسي[٥] يوماً مجلس أبي بكر الخياط[٦] فأقبل أصحابه على أبي بكر يكثرون عليه المسائل، وهو يجيبهم ويقيم عليهم الدلائل، فلما انتهوا من أسئلتهم، أقبل أبو بكر على أكبرهم سناً وأكبرهم عقلاً وأوسعهم علماً عند نفس أبي بكر فسأله عن مسألة نحوية فأجابه إجابة خاطئة، فحين سمع أبو بكر ذلك الجواب قام من مجلسه وصفق بيديه وقال

---

(١) ينظر: الزجاجي، أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق(ت٣٤٠هـ/٩٥١م). **مجالس العلماء**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام(٩)، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٢) هو أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي المعروف بالحامض، لغوي ونحوي بارع على مذهب الكوفيين، من كتبه: كتاب(ما يُذكَّر وما يؤنث من الإنسان واللباس)، توفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٨م. ينظر أبي الطيب اللغوي، عبدالواحد بن علي (ت٣٥١هـ/٩٦٢م). **مراتب النحويين**، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة،١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ص٨٧-٨٨.

(٣) ينظر: مجالس العلماء، ص٣٠٧-٣١٠.

(٤) ينظر: الزجاجي، مجالس العلماء، ص٣١٠-٣١٢.

(٥) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفسوي الفارسي الشيرازي(٢٨٨-٣٧٧هـ/٩٠٠-٩٨٧م)، ولد في ناحية فسا من نواحي فارس، وكانت أمه عربية من عرب سدوس الذين هاجروا إلى فارس، وقدم بغداد سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م للتعلم والدراسة، من أبرز مؤلفاته:٠كتاب الإيضاح في النحو)، كتاب(الشعر)، كتاب (جواهر النحو)، كتاب(الأوليات في النحو)، كتاب(إعراب القرآن)، (مقاصد ذوي الألباب في العمل بالإصطرلاب). ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص١٨٩-١٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٢، ص٨١١-٨٢١.

(٦) محمد بن أحمد بن منصور الخياط، نحوي من أهل سمرقند، قَدِم إلى بغداد، وكان من أتباع مدرسة بغداد، من مؤلفاته: كتاب (النحو الكبير)، كتاب (المُقنِع في النحو)، توفي سنة٣٢٠هـ/٩٣٢م. ينظر: ابن النديم، الفهرست، مجـ١، جـ٢، ص٢٤٩؛ القفطي، انباه الرواة، جـ٣، ص٥٤؛ السيوطي، بغية الوعاة، جـ١، ص٤٨.

لأصحابه: لا بارك الله فيكم ولا أحسن جزاءكم؛ وذلك خجلاً مما جرى واستحياءً من تلميذه أبي علي الفارسي[١] وهذا يدل على واحترام وتقدير الأستاذ لتلامذته النجباء.

في حين كان لأبي بكر عبدالله النيسابوري[٢] مجلس علمي لتدريس علم الحديث فكان يتبع مع طلابه أسلوب المناقشة؛ إذ كان لما يقعد للتحديث يطلبون منه أن يبدأ بتحديثهم فيطلب منهم أن يبدؤا بسؤاله، فكانوا يسألونه عن أحاديث أملاها فيجيبهم فيها، ثم بعد ذلك يبدأ يحدثهم[٣].

لم يقتصر هذا الحال على التلاميذ فحسب بل حتى الأمراء والوزراء كانوا يطرحون أسئلتهم على العلماء، ومثال ذلك ما سأله الوزير علي بن عيسى لابن مجاهد عن مسألة في التجويد بين الإظهار والإدغام فأجابه عنها بكل وضوح[٤].

٤- إدراج الشعر كوسيلة إيضاحية وترويحية

استخدام الشعر كوسيلة إيضاحية؛ حتى يستوعب الطلبة دروس النحو وعلوم اللغة؛ ولتنمية موهبة الشعر عند بعض الموهوبين حتى تكون وفق أسس ومنهج علمي، وأنه ينبغي للطالب عند وقوف ذهنه عن الاستيعاب ترويحه بالشعر أو الحكايات، فإن الفكر إذا غلق ذهل عن تصور المعنى فلا يستوعب ما يقوله له معلمه، وهذا الأمر لا يسلم منه أحد، ولا يقدر إنسان على مكابدة ذهنه على الفهم وغلبة قلبه على التصور بعبارة أكثر تبسيطاً أن الإنسان لا يستطيع أن يُجبر نفسه على الفهم والتلقي وإن أراد ذلك؛ لأن النفس تمل كما تمل الأبدان بعد مضي ساعتين أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف القدرات الفردية بين الناس عل مدة التركيز والفهم، وكان

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٢، ص٨١٢.

(٢) هو عبدالله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون الفقيه، مولى أبان بن عثمان بن عفان(٢٣٨-٣٢٤هـ/ ٨٥٢-٩٣٦م)، من أهل نيسابور، محدث وفقيه، وسكن بعد ذلك ببغداد وحدّث عن شيوخها. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١١، ص٣٣٩-٣٤٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ص٦٥-٦٦.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ١١، ص٣٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ص٦٦.

(٤) لمعرفة تفاصيل هذه المسألة ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٢، ص٥٢١.

الصحابة يروحون عن أنفسهم وطلابهم بقول الشعر والقصص في مجالسهم وحلقاتهم[١]، فمن ذلك: أن نفطويه كان ينشد طلابه الشعر حتى يتعلموا فن الشعر وذوقه سواء في مجالس عامة أو خاصة، فقد ذكر أبو علي القالي بأن نفطويه كان ينشد طلابه الشعر حتى يفقهوه ويعرفوا أغراضه، كما أنشده أبياتاً شعريه لنفسه[٢]، واتبع هذه الطريقة– إلقاء الشعر– أبو بكر بن السراج وجحظة[٣] وأبو بكر الأنباري وغيرهم مع طلابهم[٤].

٥– **امتحان الأستاذ لطلابه:** امتحن الرسول الكريمﷺ أصحابه؛ ليعرف قدرتهم على الاستيعاب، فكان يوجه السؤال لأحدهم فإذا أصاب في إجابته فإنه يُهنِّئه على صوابها؛ ليزداد في العلم رغبة ويُدخل السرور في نفسه[٥]. ومما يدلل على حرص العلماء على امتحان طلابهم ومعرفة مقدرتهم على الحفظ والاستيعاب، أن أبا بكر بن داود الظاهري سأل أبا علي النيسابوري[٦] من إبراهيم عن إبراهيم عن إبراهيم؟ فأجابه: إبراهيم بن طهمان عن إبراهيم بن عامر البجلي عن إبراهيم النخعي، فأثنى على إجابته وقال له: أحسنت يا أبا علي[٧].

---

(١) ينظر: الكتاني، محمد عبدالحي (ت١٣٨٢هـ/١٩٦٢م). **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**، تحقيق: عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م، جـ٢، ص٢٣٦–٢٣٧.

(٢) ينظر: الأمالي، جـ١، ص٢٠٢، ٢٠٩.

(٣) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي(٢٢٤–٣٢٤هـ/٨٣٨–٩٣٥م)، شاعر عباسي، وكان قبيح المنظر ناتئ العينين فلقب بجحظة، وكان طنبورياً حاذقاً يصوغ اللحن ويجود الغناء، وقد عُمِّرَ طويلاً، له (ديوان شعر) وقد ضاع أكثره، له شعر في شعراء عباسيون منسيون، له شعر في العتاب أصبح يُضرب به المثل لرقته ولطفه فيقال (عتاب جَحْظة). الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م). **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م، ص٢٢٨؛ مراد، يحيى. **معجم تراجم الشعراء الكبير**، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، جـ١، ص٣١٢.

(٤) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، جـ١، ص٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٧، ٢١٨.

(٥) ينظر: الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، جـ٢، ص٢٧٩–٢٨١.

(٦) الحسين بن علي بن يزيد بن داود(٢٧٧–٣٤٩هـ/٨٩٠–٩٦٠م)، من أئمة علماء الحديث وأحد أبرز النقاد في علم الحديث في زمنه، وصفه أحد تلامذته(الحاكم) بأنه واحد عصره في الحفظ والإتقان والورع والمذاكرة. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجـ٨، ص٦٢٢–٦٢٤.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٥٥.

الخاتمة:

بعد هذا العرض يخلص البحث إلى النتائج الآتية:

– بيَّنت الدراسة الطرق والأساليب التعليمية العامة التي سلكها العلماء في حلقاتهم ومجالسهم بدءً من السماع والقراءة وصولاً إلى الرواية، وتباينت مستويات الطلبة آنذاك وفقًا لملازمة معلميهم وقدراتهم ورغبتهم الذاتية في التحصيل العلمي وهذا ما أُطلق عليه حينذاك بالوجادة.

– أكدت الدراسة على اعتماد بعض العلماء أسلوب الفهم في إيصال المعلومات لطلابهم، باعتبارها من الأساليب التعليمية الناجحة، كما اعتمدوا على طريقة الاختصار في تدريسهم، وعلى المناقشة وطرح الأسئلة وتدوينها، واستخدموا الشعر كأسلوب إيضاحي وترويحي مع طلابهم، ووجهوا الأسئلة لطلابهم؛ لمعرفة مدى قدرتهم على الاستيعاب؛ وبتلك الأساليب والطرق تمكنوا من تكوين أجيال من العلماء الذين كانت لهم إسهامات واضحة في شتى العلوم فتصدروا للتدريس والتأليف، وكانوا في خدمة الناس بما اكتسبوه من معارف وعلوم أهَّلتهم بأن يكونوا القدوة والطليعة في مجتمعاتهم؛ وبذلك استفادت الأمة الإسلامية والإنسانية من نتاجاتهم العلمية التي أتت ثمارها التطبيقية في التاريخ الحديث والمعاصر. وقد اتبع العلماء في هذه المدة طريقة الملاحظة والتجربة في العلوم العقلية ويتطرق الباحث لهذا الموضوع في دراسة مستقلة بإذن الله سبحانه وتعالى.

– أن الحفظ والاستظهار كانا من أهم طرق التحصيل العلمي لدى الطلبة في كافة طرق التعليم، ولعل أسلوب المناقشة وطرح الأسئلة وتدوينها من أفضل طرق التعليم.

– يلاحظ أن طرق التدريس وأساليبه تنوعت في مدة البحث، وهذا يتطابق مع أساليب التربية والتعليم الحديثة؛ لأن هذه الطرق تكمل بعضها البعض، وليس هناك طريقة بمفردها كاملة، بالإضافة إلى أن هذا التنوع يؤدي إلى تجدد النشاط لدى المعلم والمتعلم؛ لأن الاقتصار على طريقة واحدة يؤدي إلى الملل لدى الطلاب؛ وبذلك لا تتحقق الغاية المرجوة والمتوخاة من التعليم.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالواحد بن محمد(ت٥٧٧هـ/١١٨١م). نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

[2] أبي بكر الزبيدي، محمد بن الحسن(ت٣٧٩هـ/٩٨٩م). طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م.

[3] التميمي، عبدالجليل مرتضى مصطفى. علم النفس التعليمي(سيكولوجية التعليم والتعلم)، مكتبة دار الآفاق للنشر والتوزيع، صنعاء، (د. ت).

[4] الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

[5] ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي(ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م). غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عن الطبعة التي عني بنشرها ج. برجستراسر سنة١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

[6] ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

[7] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). لسان الميزان، عناية: عبدالفتاح أبو غدة وسلمان عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

[8] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ/١٠٧١م). تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانِها العلماءِ من غير أهلها وواردِيها (تاريخ بغداد)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

[9] نفسه، كتاب الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف العَزَازي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية- الدمام، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

[10] ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت،١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

[11] ابن خير الأشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م). فهرسة مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعرفة، تحقيق: فرنسشكه قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوه، مطبعة قومش، سرقسطة،١٣١٠هـ- ١٨٩٣م.

[12] الداوودي، محمد بن علي بن أحمد(ت٩٤٥هـ/١٥٣٨م). طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

[13] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٢م). كتاب الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

[14] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١،١٤١١هـ -١٩٩٠م.

[15] نفسه، كتاب تذكرة الحفاظ، تصحيح: عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

[16] نفسه، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

[17] نفسه، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: طيَّار آلتي قولاج، (د.ن)، استانبول، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

[18] نفسه، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

[19] الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن(ت٣٦٠هـ/٩٧١م). المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق وتقديم وتخريج وتعليق وفهرسة: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

[20] روزنثال، فرانز. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة: وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت- لبنان، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، نيويورك- الولايات المتحدة الأمريكية، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

[21] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج وإبراهيم الترزي، مراجعة: مصطفى حجازي وآخرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

[22] الزجاجي، أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق(ت٣٤٠هـ/٩٥١م). مجالس العلماء، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام(٩)، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

[23] السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م). طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

[24] ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ/٨٤٦ م). طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

[25] السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م). أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

[26] نفسه، الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني وآخرون، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

[27] السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد(ت٩١١هـ/١٥٠٥م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر، مصر، ط٢،١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

[28] نفسه، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، شرح وتعليق: أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

[29] نفسه، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه،(د. م)، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

[30] نفسه، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

[31] الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد. الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

[32] الصالحي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي (ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م). طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

[33] ابن الصلاح، عثمان بن الصلاح عبدالرحمن بن موسى الشافعي (ت٦٤٣هـ/١٢٤٦م). مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، تحقيق: عائشة عبدالرحمن(بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

[34] ضيف، شوقي. المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط٧،١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

[35] أبي الطيب اللغوي، عبدالواحد بن علي(ت٣٥١هـ/٩٦٢م). مراتب النحويين، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة،١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

[36] عبدالفتاح أبو غُدّة. الرسول والمعلمﷺ وأساليبه في التعليم، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب- سوريا، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

[37] ابن عدي، أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني(ت٣٦٥هـ/٩٧٥م). الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

[38] العقيقي، نجيب. المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٥،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

[39] أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م). كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

[40]ابن العماد، أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

[41] ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

[42] القفطي، أبي الحسن علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م). انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

[43] الكتاني، محمد بن جعفر(ت١٣٤٥هـ/١٩٢٧م). الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[44] الكتاني، محمد عبدالحي (ت١٣٨٢هـ/١٩٦٢م). نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق: عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

[45] الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف(ت٣٥٠هـ/٩٦١م). الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح: رفن كَست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م.

[46] مراد، يحيى. معجم تراجم الشعراء الكبير، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

[47] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١،١٣٠٠هـ- ١٨٨٣م.

[48] ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م). كتاب الفِهْرِسْت، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث ، لندن،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

[49] ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
[50] نفسه، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.